بنية القصيدة في شعر علي بن جَبَلة العَكوَّك دراسة خليلية نقدية

إعداد

د. محمد زروق الحسن

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية قسم الدراسات الأدبية والنقدية حامعة أم درمان الإسلامية

توطئة

تُعدُّ بنية القصيدة من الموضوعات المهمة في النقد العربي القديم فقلما حلا مصدر من الحديث عنها؛ لأنها تضع الصوى في طريق الشاعر لكي يجود مطلع قصيدته، ثم يتخلص إلى موضوعه الرئيس بطريقة سلسة لا مفاجأة فيها، ثم يختم قصيدته بأجود بيت فيها؛ لأنه آخر ما يبقى في الأسماع.

ولعلَّ الحديث عن بنية القصيدة كلف به النقاد المحدثون ذاكرين مفاهيم الوحدة في القصيدة من وحدة شعورية وموضوعية إلى عضوية .

ترجع صلي بشعر علي بن جَبَلة العَكوَّك إلى أعوام حلت لما كنت أراجع شعره ولاسيما رائيته (ذاد وِرْدُ الغيِّ عن صَدَره ...) فأكلف بتردادها، فكانــت مدخلاً لقراءة شعره ودرسه، فضلاً عن مزاوجته بين القديم والجديد في عصــره مضموناً وشكلاً .

ومما تقدم ذكره، فإن دراسة بنية القصيدة في شعر علي بن جَبلة من شائها أن تبرز شيئاً من شعره: مقدماته، تخلصاته، خواتيمه، ووحدة القصيدة عنده. وقد حاولت جاهداً تطبيق ما حض عليه النقاد في بنية القصيدة، مستقرئاً شعر ابن جَبلة بدءاً من مقدماته وانتهاء بوحدة القصيدة عنده، واضعاً منهجاً تحليليّاً نقديّاً مكوناً من : توطئة وتمهيد درست فيه حياة وشعر ابن جَبلة، بشيء من الاقتضاب. ثم عقدت أربعة مباحث الأول : مقدمة القصيدة وفيه ستة أضرب من المقدمات : وصف الطبيعة وصف الطبيعة وصف الطبيعة والخمر . المبحث الثاني التخلص ، الثالث : خاتمة القصيدة، والرابع وحدة القصيدة، ثم ختمت الدراسة بملخص لأهم نتائجها، وثبت بالمصادر والمراجع .

تمهيد علي بن جَبَلة : حياته وشعره أولاً : حياته :

هو علي بن جَبلة بن مسلم بن عبدالرحمن، من أبناء الشيعة الخراسانية يكنى أبالحسن، كان أسود أبرص، ولقبه العكوَّك (بعين مهملة وكافين وبينهما واو مشددة) لقَّبه الأصمعيُّ بين يدي الرشيد، ومعناه القصير السمين (١).

علي بن جَبَلة من شعراء العصر العباسي الأول، ولد بحي الحربية في الجانب الغربي من بغداد سنة ستين ومائة للهجرة، كان أصغر إخوته، مما جعل والده يؤثره من دونهم بمحبته ورعايته (٢).

بيد أن حسين عطوان محقق شعر ابن جَبَلة رجَّح القول بأن شاعرنا ابن جَبَلة ولد ضريراً، إذ لو جَبَلة ولد ضريراً، وحجته في ذلك قوله: (فالراجح عندي أنه ولد ضريراً، إذ لو كان ولد مبصراً، ثم ابتلي بفقده عينيه واحدةً تلو الأخرى لكان يمكن أن يرثيهما ويتحسر عليهما، غير أن ما بقى من شعره لا ينبئ بذلك) (٥).

فرأى عطوان مقبول ولكنه ليس مقنعاً، وربما رثى ابن جَبَلة بصره ولكن شعره في رثائه ضاع كما ضاع أكثره، وعليه يظل الأمر خلافيًا بين القدماء الذين ترجموا له ورووا شعره .

حددت هذه العاهة (العمى) التي أصيب بها شاعرنا ابن جَبلة منذ صغره اتجاهه في حياته، إذ ملأت قلب أبيه عطفاً عليه، وبراً به . فألحقه بمدرسة من المدارس تعلم فيها ما يتعلمه الصبيان من أطراف العلم . و لم يكد يشب حتى أخذ إخوته يختلفون به بتوجيه من والدهم إلى مجالس العلم والأدب . وقد أفاد من ذكائه مستمعاً إلى دروس الشعر واللغة والنحو، وما يدور بين العلماء من محاورات ومناظرات في المذاهب الكلامية والمسائل العقلية ، فإذا هو يفقه أسرار العربية، ويحفظ غير قليل من الشعر لغير شاعر من الجاهليين والإسلاميين والعباسيين وكان لذلك ثمرتان : الأولى أنه أذكى موهبته الشعرية، وهذبها وزودها بزحيرة من روائع

الشعر . الثانية وسع مداركه وخياله ونمى طاقاته العقلية، مستنبطاً أدق المعاني، راسماً أطرف الصور^(۲) .

لم تذكر المصادر التي ترجمت لشاعرنا ابن جَبَلة شيئاً كثيراً عن أسرته حــــلا أنه من أهل بغداد، وأن له ولداً يدعى الحسن وبه كان يكنى (٧).

يكاد يجمع القدماء على أن شاعرنا ابن جَبَلة توفي سنة تلاث عشرة ومائتين، بيد ألهم يختلفون في سبب وفاته، فمنهم من يذهب إلى أنه مات حتف أنفه (١٠)، ومنهم من يقول إن المأمون هو الذي قتله؛ لأنه رآه يبالغ في مدح أبي دلف بن عيسي العِجْلي (٩)، وحُميْد بن عبدالحميد الطُّوسي (١٠)، ويخلع عليهما صفات الله حل وعلا(١١).

ولعل المأمون تحامى شاعرنا ابن جَبَلة وجفاه وضيق عليه لأسباب سياسية فضلاً عن الأسباب الدينية، فقد كانت أسرة ابن جَبَلة موالية للأمين في حربه مع أخيه المأمون على الخلافة، كما كان عبدالرحمن بن جَبَلة من كبار قادة الأمين، ومازال على وفائه له حتى قتل بأسداباذ سنة خمس وتسعين ومائة، وهو يحارب عبدالله بن طاهر (١٣) أكبر قادة المأمون. فضلاً عن ذلك فقد كان أبودلف العِجْليُّ من قادة الأمين المشهورين، ثم إنه وقف موقفاً محايداً لم يظاهر معه أحدهما على أحيه (١٣).

ثانياً : شعره :

ذكرت المصادر التي ترجمت لشاعرنا ابن جَبَلة وروت له شعراً أنه شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مدَّاح حسن التصرف (11). كان دقيق الفطنة سهل الكلام، مدَّاحاً مجيداً، وصّافاً محسناً، سارت له أمثال، وندرت من شعره نوادر، وقال الجاحظ عنه: كان أحسن خلق الله إنشاداً، وما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً (10).

وتذكر مصادر أخرى أنه كان أحد فحول الشعراء المبرزين (١٦٠)، كان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً (١٧٠).

أما موضوعات شعره فيتصدرها المدح، وأشهر ممدوحيه حُمَيْد الطُّوسيّ الطائيُّ وأبودلف العِجْليّ ، وعبدالله بن طاهر، وهم من عُمَّال المــأمون وقادتــه المذكورين، والحسن بن سهل وزير المأمون (١٨) .

مدح ابن جَبَلة حُمَيْداً الطُّوسيّ بالكرم والجود الفياض، وعراقة الأصل، والحزم والشدة والثبات والبطش بالأعداء، مبدئاً معيداً في تلك الصفات في أسلوب صاف ومعنىً مبتكر طريف، وصورة نادرة، من ذلك قوله:

دِجْلَةُ تَسْقي وَأَبو غَانِمٍ * يُطْعِمُ مَنْ تَسْقي مِن النَّاسِ

أَعَدَّ لِلمَعْرِوفِ أَمُوالَــهُ * وَسَــيْفُهُ فِي حَلْبَـــةِ البــاسِ

وَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمامُ الْهُدى * رَأْسٌ وَأَنْـــتَ العَـــيْنُ في

ومدائحه في أبي دلف العِجْلي لا تقل مكانة عن مدائحه في حُميَّد الطُّوسي فقد أشاد بممدوحه أبي دلف ذاكراً نائله الغمْر،وحلمه وبسالته ونباهة نسبه، وقسمته أيامه بين الجهاد ومجالس العلم والأدب، وهموضه لقتال العابثين المفسدين. وأشهر مدائحه في أبي دلف رائيته اليتي قرَّظها ابن المعتز (٢٠)، وأبوالفرج الأصفهاني (٢٠)، ومن بديع قوله فيها (٢٠):

إِنَّمَا اللَّهُ نَيَا أَبِو ذُلَكْ * بَكِنْ مَعْزَاهُ وَمُحْتَضَرِهُ

فَ إِذَا ولَّكَ أَبِو دُلَفٍ * وَلَّتِ اللَّهُ نِيا عَلَى أَثَرِهُ

كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَسِيْنَ باديهِ إِلَى حَضَرِهُ

مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً * يَكْتَسيها يَوْمَ مُفْتَحَرِهُ

حاول شاعرنا ابن جَبَلة مدح الملوك، ففي أخباره أنه امتدح الرشيد بقصيدة والأصمعي بحضرته، فاستحسنها الرشيد وأعجب بها، وأجزل له العطاء عليها(٢٣).

ونظم مِدحةً في المأمون، ولكن الأخير سخط عليه وبرم به؛ لأن ابن جَبَلـة مدح ونوَّه بأبي دلف العِجْليّ وحُمَيْد الطُّوسيّ، تنويهاً طارت شهرته في الآفـاق، على حين تأخر عن مدحه والإشادة به (٢٤).

ومهما يكن من أمر فقد ابن جَبَلة مفاتيح أبواب الخلفاء، وأوصدت أبواهم من دونه، فقد توفي الرشيد في مطلع حياة ابن جَبَلة،أما المأمون فأعرض عنه وحقد عليه (٢٥).

ثاني موضوعات شعره الرثاء، فكان بارعاً فيه ولاسيما مرثيته في حُمَيْد الطُّوسيّ التي قرَّظها أبوالفرج الأصفهاني ذاكراً جودتما وكثرة نادرتما (٢٦)، ومنها قوله (٢٧):

أُصِبْنا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْد لَو أَنَّهُ * أَصابَ عُروشَ الدَّهرِ ظَلَّتْ تَضَعْضَعُ أَصِبْنا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْد لَو أَنَّه الله * مَريعُ وَحاميها الكَمِيُّ الْمُشَيَّعُ وَسَيفُ أَميرِ الْمُؤمِنينَ وَرُمْحُهُ * ومِفْتاحُ بابِ الخَطْبِ وَالْخَطْبُ أَفْظَعُ وَسَيفُ أَميرِ الْمُؤمِنينَ وَرُمْحُهُ * ومِفْتاحُ بابِ الخَطْبِ وَالْخَطْبُ أَفْظَعُ

ثالث موضوعات شعره الهجاء، ويأخذ عنده شكل المقطوعة القصيرة مماثلاً له عند الشعراء العباسيين الذين تطوروا بهذا الفن، ويراوح في بعضه بين السخرية والتهكم تارة، والإقذاع تارة أخرى (٢٨).

ومن موضوعات شعره الغزل فحيناً يأتي في مستهل مدائحه مجدداً في معانية وأسلوبه، وحيناً آخر يتخذ شكل المقطوعة المستقلة عن غيرها من الموضوعات، يصور الشاعر هيامه ووجده دون إسفاف أو تدن (٢٩).

طرق شاعرنا ابن جَبَلة جُلَّ موضوعات الشعر كالاعتذار والعتاب والوصف. ففي الاعتذار والعتاب يستلهم عقله الخصب، وذهنه الثاقب، لاستلال الحقد من نفس صاحبه عليه كقوله يعاتب أبا دلف العِجْليّ ، ويعتذر إليه، وقد استشفع عنده صديقه حُمَيْد الطُّوسيّ :

لا تَشْرُكَتِي بِبابِ الدَّارِ مُطَّرِحاً * فَالْحُرُّ لَيسَ عَنِ الأَحْـرارِ يَحْتَجِـبُ هَبْنا بِلا شَافِعٍ جُئنا وَلا سَبَبٍ * أَلَسْتَ أَنْتَ إِلَى مَعروفِكَ السَّبَبُ (٣٠)

وصف ابن جَبَلة عدة موصوفات كالطيف والغيث وغيرهما من الموصوفات، محاولاً الإلمام بالمعنى المبتدع والفكرة الجديدة، كقوله يصف الطيف (٣١):

بِأَبِي مَـنْ زَارَيْ مُكْتَتِمـاً * حَذِراً مِنْ كُلِّ واشٍ جَزِعـا زَائِراً نَــمَّ عَلَيــهِ حُسْــنُهُ * كَيفَ يُخْفي اللَّيْلُ بَدْراً طَلَعا

أسلوب شاعرنا ابن جَبَلة يتراوح بين السهولة والجزالة، إذ ينتحب في الغالب لقصائده ألفاظاً قريبة المعاني، ويصوغها في عبارة واضحة مستقيمة لا التواء فيها إلا في القليل النادر ... ومع سهولة عبارته لا يستخدم الألفاط العامية

والعبارات الشعبية، بل يرتفع دائماً عنها، ويحرص على اللغة الفصيحة والأساليب الناصعة المتينة .

أما ديوان شاعرنا ابن جَبَلة فلم يصل إلينا، ونهض الدكتور حسين عطوان بتحقيق ما بقي من شعره متناثراً بين مصادر الأدب والتاريخ قائلاً: (... ثم رأيت أن أجمع شعر علي بن جَبلة . وقبل أن أبدأ في جمعه أخذت أسأل وأبحث عن مخطوطة ديوانه، لأن ابن النديم يذكر في الفهرست أنه كان له ديوان من مائة وخمسين ورقة، ظل متداولاً بين العلماء إلى نماية القرن الحادي عشر الهجري، فإن عبدالقادر البغدادي نصَّ في مقدمة خزانة الأدب على أنه رآه واعتمد عليه . وحين توثقت من أن مخطوطة ديوانه مفقودة، مضيت أجمع ما بقي من شعره من المصادر والمظان المطبوعة والمخطوطة ... و لم أزل أجمع ما أعثر عليه من شعره حتى اطمأننت إلى أنني ظفرت بأكثر ما حفظ منه) (٣٢).

المبحث الأول مقدمة القصيدة:

كلف النقاد الأقدمون بجودة مطلع القصيدة وحثوا الشعراء على تجويد مطالع قصائدهم، وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام (٣٣).

والشعر قُفْل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع ...، وليجعله حلواً سهلاً، وفخماً جزيلاً ... (٣٤) .

أما شاعرنا ابن جَبَلة فقد ألم بضروب من المقدمات في شعره كمقدمة وصف الشيب وبكاء الشباب، والمقدمة الغزلية، والعتاب، والطللية، ووصف الطبيعة، والخمر.

أ- مقدمة وصف الشيب وبكاء الشباب:

أرسى المعمَّرون من الشعراء أصول هذه المقدمة، وألموا بأكثر عناصرها غير أن أشعارهم التي تفجعوا فيها على شباهم لم تكن مقدمات لقصائد طويلة، بـل مقطوعات نفثوا فيها آلامهم وتمثلوا ذكرياتهم . ويبدو أن الشعراء أعجبوا بالمعاني التي رددها المعمَّرون، أو أنها انسجمت مع واقع حياة نفر منهم بلغوا من العمر

عتياً، ومروا بالتجربة نفسها، فأخذوا يرددونها في صدور قصائدهم، ثم ينفذون منها إلى موضوعاتهم وأغراضهم الأساسية (٣٥).

ولعل شاعرنا ابن جَبَلة من الذين أعجبوا بالمعاني التي رددها المعمَّرون فما فتئ يستهل غير قصيدة من شعره بوصف الشيب، ذاكراً نزوله برأسه وازورار الحسان عنه، وأنه لم ير وقاراً يُكره كالشيب، وظلاَّ يستلب كالشباب الغض، مسهباً في وصف ذلكم الشباب ونضارته، فقد كان صاحباً عزيز المصطحب، رغم أنه جعله يزهو تيهاً بجماله غير آبه لحوادث الدهر ونوازله قائلاً (٣٦):

رِيعَتْ لِمَنشُورٍ عَلَى مَفْرِقِهِ * ذَمَّ لَها عَهْدَ الصِّبَاحِينَ اِنتَسَبْ أَهْدَامُ شَيْبٍ جُدُدُ فِي رَأْسِهِ * مَكروهَةُ الجِدَّةِ أَنْضَاءُ العُقُبْ لَم أَرَ كَالشَّيْبِ وَقَاراً يُجْتَوى * وَكَالشَّبابِ الغَضِّ ظِلاَّ يُسْتَلَبْ فَنازِلُ لَهم يُبْتَهَجْ بِقُرْبِهِ * وَذَاهِبٌ أَبقى جَوىً حِينَ ذَهَبْ كَانَ الشَّبابُ لِمَّةً أُزهى بها * وَصاحِباً حُرَّا عَزِيزَ المُصْطَحَبْ كَانَ الشَّبابُ لِمَّةً أُزهى بها * وَصاحِباً حُرَّا عَزِيزَ المُصْطَحَبْ

وثمة مقدمة أخرى وصف فيها شاعرنا ابن جَبَلة الشيب، مُلمَّا بقسمات الصورة الأولى، كيف لا وقد تحامته عيون الحسان، جافياً طرب الفتيان،غير أن الشاعر أقرَّ غير مرة بأن الشيب يعني اكتمال العقل والحكمة، وأنعم به من واعظ، يقول (٣٧):

جَفَا طَرَبَ الفِتيانِ وَهُو طَروبُ * وَأَعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشْدِيبُ تَجَافَتْ عُيُونُ البَيضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا * مَدَدْنَ إِلَيهِ الوَصْلَ وَهُوَ حَبيبُ لَعَمْرِي لَنِعمَ الصاحِبُ الشَّيبُ واعِظاً * وإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلعُيونِ نُكُوهِ الْخِلاطِ مُرِيبُ خَليطُ نُهِي مُنتابُ حِلْمٍ وَإِنَّهُ * عَلى ذاكَ مَكْرُوهُ الخِلاطِ مُرِيبُ

ولعل أجود ما استهل به شاعرنا ابن حَبَلة قصائده وصفه الشيب وبكاؤه الشباب في أجود قصائده التي مدح بها أبا دلف العِجْليّ (ذَاد ورْدُ الغيّ عَنْ صَدَرِهْ) ففي تلك القصيدة ذهبت نفس الشاعر حسرات على شباب مضى، ناعتاً إياه وقد تصرَرَّمت أيامه، وذوى اليانع من ثمره، لمّا كانت له صولات وجولات بين

الفتيات النافرات. بيد أن الحسرات المتتابعات لا تُجدي نفعاً في استرجاع شباب مضى فقد احدودب الظهر كبراً، يقول (٣٨):

ذادَ وْردَ الغَيِّ عَنْ صَدرِهْ * وَارْعَوى وَاللَّهْ و مِنْ وَطَرِهْ وَأَبَدِتْ إِلاَّ الوَقِ الرَّ لَكُ * ضَحِكاتُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهْ وَأَبَدَهُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهْ نَصَدَى أَنَّ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهُ نَصَدَى أَنَّ الشَيْبِ فِي شَعْرِهُ نَصَدَى أَنْ الشَيْبَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَدَى أَنْ الشَيْبِ فِي شَعْرِهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مَدَى أَنْ الشَيْبُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَدَى أَنْ الشَيْبُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَالْعَلِيْقُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْ

جَارِتِ السَّبَابُ لَن * رَاحَ مَحْنِيًّا على كِبَرِهْ

وَإِنقَضَ تَ أَيَّامُ لَهُ سَلَماً * لَهِ أَهِج حَرباً عَلى غِيرِه

ما انفك ابن جَبَلة يصف الشيب في مفتتح قصائده، قائلاً (٣٩): رَاعَكُ أُ الشَّيْبُ إِذْ نَهِ إِنْ فَ إِنْ فَ الْعَالِمُ اللَّعَامُ مَا الْعَالِمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

وَانْقَضَ ت مُ لَدَّةُ الصِّبا * وانْقَضى اللَّهْ و وَالغَ زَلْ

قَدْ لَعَمْ ري دَمَلْتُ * بخِض ابٍ فَم ا إنْ لَمَلْ اللَّهُ عَلَّمُ اللَّهُ عَلَّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

فَابِ لِي الشَّيْبِ إِذْ بَدِه * لا عَلَى الرَّبْعِ وَالطَّلَ لَ

راع الشيبُ شاعرنا ابن جَبَلة لمّا وخط رأسه، منذراً إياه بانقضاء الصّبا وعنفوان الشباب، فقد أزف وقت اللهو والغزل، محاولاً تغيير ذلك الشيب بالخضاب ونحوه، بيد أن الشيب يأبى . فقمين بالمرء أن يبكي على شيب جلّل الرأس، لا على ربع خلا وطلل درس . ولعل ابن جَبَلة خالف في هذا المقام ما اعتاده الشاعر القديم من وصف الأطلال وبكاء الديار .

وآخر مقدمات وصف الشيب وبكاء الشباب قول شاعرنا ابن جَبَلة (٠٠٠):

بدا ابن جَبَلة متنازعاً بين جلال الشيب وأنس الشباب، ففي الأول الحكمة والعظة والوقار، رغم ازورار الحسان، وفي الثاني زهو لافت لحور المقل. ولعل الشاعر حاول جاهداً أن يعزِّي نفسه عن رحيل الشباب ومُقام المشيب.

وهكذا تبدو صور وصف الشيب وبكاء الشباب عند شاعرنا ابن جَبَلة من متشابحة في قسماتها وإطارها العام، صورة فحواها وصف الشيب وما يتبعه من ضعف وكبر، ونفار الحسان عن صاحبه، رغم ما فيه من الجلال والوقار . أما الشباب فقد نعته الشاعر بالعنفوان والزهو، واستمالة قلوب الحسان، وإن تصرَّمت أيامه عجلى .

(ب) المقدمة الغزلية:

في شعر ابن جَبَلة بضع مقدمات غزلية كقوله في مستهل قصيدة مدح ها حُمَيْداً الطُّوسي (٤١):

أَبَيْ تَنَ فَمَا تُسْعِفُ * وَجُرْتَ فَمَا تَنْصِفُ وَتَحْلِفُ وَتَحْلِفُ وَتَحْلِفُ وَتَحْلِفُ مُا تَخْلِفُ وَتَحْلِفُ مُالْحَلِفَ مُا تَحْلِفُ مُا تَحْلِفُ مُا لَحْلِفُ مُا لَحْلِفُ مُالْحَلَفَ مُلَافَ مُنْحَلَّفَ مُا اللَّفَافُ وَتَهْجُ رُبِي وَاثِقَا اللَّفَادُ اللَّفَافُ وَتَهْجُ رُبِي وَاثِقَا اللَّفَادُ اللَّفَافُ وَتَهْجُ رُبِي وَاثِقَافًا اللَّفَافُ اللَّفَافُ وَتَهْجُ رُبِي وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَهْجُ مِنْ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَهْجُ مُنْ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَهْجُ مِنْ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَعْمَلُونُ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَعْمَلُونُ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَتَعْمَلُونُ وَاثِقَافًا اللَّفَافُ وَالْتَعْمَلُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَلَّالُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالِقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالِقُ فَالْحَالُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالِقُونُ وَالْحَالِقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَالِقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَالِقُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْعُلُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَلَالُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَالَقُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَالُونُ وَالْحَلَقُونُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ وَالْحَلَاقُونُ

خاطب شاعرنا ابن جَبَلة المحبوبة، بضمير المذكر، ذاكراً صدودها وهجرالها، تبذل الوعد تارة وتُخلفه أخرى، ناعتاً ودَّها المستطرف، وتعلَّقه بحبال وصلها، وحبها المستكين في دواخله ملمَّا بشيء من وصفها الحسيِّ من ثقل وهيف.

ولعلَّ الصدود سمة تلازم محبوبة شاعرنا ابن جَبَلة فكم تقيأت إساءة بحقه، ولكنها مليحة عنده، وكم استعطفها دون أن ترق له، يقول (٤٢):

تُسىءُ وَلا تَسْتَنْكِرُ السُّوءَ إِنَّها * تُدِلُ بِما تَبْلُوهُ عِنْدي وَتَعْرِفُ فَمِنْ أَيْنَ ما جَرَّبْتُ صَبِرِيَ يَضْعُفُ فَمِنْ أَيْنَ ما جَرَّبْتُ صَبِرِيَ يَضْعُفُ

وثمة مقدمة غزلية حلَّق فيها شاعرنا ابن جَبَلة بعيداً عن الدنيات والماديات مصوِّراً هيامه بصاحبته وتعلقه بها، وما يُقاسي من المواجد والآلام لبعدها، وحيين

يسمع الناس يهتفون باسمها حتى لتكاد نفسه تتفطَّر حسرة عليها، ولعل هذا الجانب يميزه عن كثير من شعراء عصره الذين تدنوا في غزلهم، ومجوفهم مع الجواري والقيان (٤٣).

يقول ابن حَبَلة^(٤٤):

لُو أَنَّ لِي صَبْرَهَا أَو عِندَهَا جَزَعَى * لَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا آيَ وَمَا أَدَعُ لَا أَحْمِلُ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ لا أَحْمِلُ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ لا أَحْمِلُ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ إِذَا ذَعِا باسمِها داعٍ فَأَسْمَعَني * كادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ إِذَا ذَعِا باسمِها داعٍ فَأَسْمَعَني *

وهذه المقدمات الغزلية آنفة الذكر ألمت بغير قليل من حق النسيب الذي ذكره ابن رشيق القيراوي: (... أن يكون حلو الألفاظ، رسلها، قريب المعاني، سهلاً غير كزِّ ولا غامض، ... ظاهر المعنى، ... شفَّاف الجوهر) (٤٥٠).

واستمع إليه يصف طول غرامه بصاحبته (شَكْلة) حتّى إنه ليرضى إذا ابتعدت منه، وصدت عنه أن ينظر إلى وردة تماثلها في حسنها وجمالها، وحيى ليزداد تعلُقاً بها كلما مطلته ونأت بجانبها عنه، ويسعد بها كلما أمعن العُذّال في ذمها، يقول (٤٦):

إِنَّ لَيُقْ نِعُنِي تَعَهُّدُ شَكْلَةٍ * إِنْ حَالَ دُونَ لِقاءِ شَكْلَةَ حَائِلُ وَيَرِيدُنِي كَلَفَ الْجَالِ وَيَسرُّنِي عَنْها الْحَدِيثُ الباطِلُ وَيَسرُّنِي عَنْها الْحَدِيثُ الباطِلُ وَإِذَا تَكَلَّمَ عَاذِلٌ فِي حُبِّها * أَغْرَى الفُوَادَ بِها وَرَقَّ العَاذِلُ

ومهما يكن من شيء، بدت المقدمات الغزلية عند شاعرنا ابن جَبَلة مفعمة بالهيام تارة، والرقة والعذوبة تارة أخرى، بعيدة عن الإسفاف والتدين. موافقًا بذلك ما ذكره ابن رشيق القيرواني في نسيب أهل الحاضرة: (... أكثر تغزلهم في ذكر الصدود والهجران، والواشين والرقباء، ومنعة الحرس والأبواب) (٤٧).

(ج) مقدمة الاعتذار والعتاب:

دقق شاعرنا ابن جَبَلة في الاعتذار والعتاب، مائلاً إلى الحجاج والمنطق فيهما، مستلهماً عقله الخصب، وذهنه الثاقب، لاستلال الحقد من نفس صاحبه

عليه، وتحديد ما بينهما من المحبة والأُلفة، كقوله يعاتب أبا دلف العِجْليّ ، ويعتذر الله ، وقد استشفع له عنده صديقه حُمَيْد الطُّوسيّ (٤٨).

لا تَتْرُكَنِي بِبابِ السَّدَّارِ مُطَّرَحًا * فَالْحُرُّ لَيسَ عَنِ الأَحْسَرَارِ يَحْتَجِبُ فَالْحُرُّ لَيسَ عَنِ الأَحْسَرَارِ يَحْتَجِبُ هَبْنا بِلا شَافِعٍ جِئنا وَلا سَـبَبٍ * أَلَسْتَ أَنْتَ إِلَى مَعروفِكَ السَّـبَبُ

وهو اعتذار يستوحي فيه حسه المرهف، وحجَّته البينة اللطيفة مما جعل أبـــا دُلف يرضي عنه ويصله (٤٩) .

أظهر ابن جَبَلة في اعتذاره غير قليل من الوقار والعزة والكرامة مع أعظم رجال الدولة، ذاكراً صبره ورباطه حأشه، مهدداً بالقطيعة والجفوة، يظهر ذلك حليّاً في قوله معاتباً الحسن بن سهل وقد احتجب عنه (٥٠):

أَلِياسُ عِنْ وَالذِّلَةُ الطَمَعُ * يَضِيقُ أَمْسِرٌ يَوْمِا وَيَتَّسِعُ أَكَالًا أَمْسِرٌ يَوْمِا وَيَتَّسِعُ أَحَقُ شَيءٍ بِطُولِ مَهْجَرَةٍ * مَنْ لَيسَ فيه رِيٌّ وَلا شَبِعُ أَحَقُ شَيءٍ بِطُولِ مَهْجَرَةٍ * مَنْ لَيسَ فيه رِيٌّ وَلا شَبعُ قُلْ لابنِ سَهْلٍ فَإِنَّنِي رَجُلٌ * إِنْ لَيمْ تَدعْني فَاإِنَّنِي أَدَعُ قُلْ لابنِ سَهْلٍ فَإِنَّنِي رَجُلٌ * إِنْ لَيمْ تَدعْني فَاإِنَّنِي أَدَعُ أَلَي اللهِ وَجُنَّتِي كَرَمٌ * وَالصَّبْرُ والٍ عَلَي لا الجَزعُ أَلِياسُ مَالِي وَجُنَّتِي كَرَمٌ * وَالصَّبْرُ والٍ عَلَي لا الجَزعُ

(د) المقدمة الطللية:

ألم شاعرنا ابن جَبَلة بوصف الأطلال في مستهل قصيدة واحدة مدح بحسا حُمَيْداً الطُّوسيَّ في يوم نيروز، قائلاً (٢٥٠):

دِمَ نُ الْ اللّهٰ اللهٰ الله

أقفرت الديار بعد أن تركها أهلها، فلا تجد بحيباً فيها، وقد بليت منازلها لمّا تقادم عليها الزمان، مشبهاً إياها بالسطور، ثم هبّت عليها رياح الصباح والمساء طامسة آثارها. وحين أصاب المكان جَدْب وشدة ارتحل أهله طاوين خيامهم كطي الثوب، وقد بدت للعين هوادج تحمل نساء حساناً. وصورة وصف الطلل مألوفة مكرورة عند جُلّ الشعراء، بيد أن ابن جَبَلة لم يذكر المواضع التي ألف الشعراء ذكرها واجترار ماضيها. وهذا يدل على أن المقدمة الطللية عند شاعر حضري كابن جَبَلة تقليد فني صرف لا حظّ للتجربة الحقيقية فيه.

ويرى الطاهر أحمد مكي أن المقدمة الطللية نابعة من الحنين إلى الوطن، ففي حياة الفرد العربي وطن متجدد متغير، وفي تذكره لأحداث الماضي تلذذ وعزاء وسلوى. والبكاء على الأطلال ثمرة البيئة المتنقلة (٣٥).

(ه) مقدمة وصف الطبيعة:

وصف شاعرنا ابن جَبَلة الغيث مصوراً إياه تصويراً بديعاً، بيَّن فيه كيف التفَّ السحاب الداكن من حوله، وكأنه يكتسي ثياباً رمادية، وكيف حار في السماء فإذا هو معلّق بها، تميل الرياح نحو اليمين، ونحو الشمال، وما تزال به حتى يدنو من الأرض. وهو غيث يزخر بالماء، وتجود الأرض بخيراته الواسعة التي تخصب معها وتمرع، يقول (٤٠٠):

وَغَيْ ثُو تَأَلَّفَ هُ نَ وُوُهُ * فَأَلْبَسَ هُ غَلَ اللَّ أَرْبَ دا تَطَلَلُ الرَّياحُ تَهادى بِ هِ * إِذَا ما تَحَيَّرُ رَ أَو عَرَدا صَدوقُ المَّخيلَةِ داني الظِّلا * ل قَدْ وَعَدَ الأَرْضَ أَن تَرْغَدا

أجل، أكثر الشعراء من وصف الطبيعة في مستهل قصائدهم متحركة تارة وساكنة تارة أخرى، ولكن شاعرنا ابن جَبَلة – في شعره الذي وصل إلينا – ألمّ بوصفها في موضع واحد (وغيث ... الأبيات) وربما سقط شعره في وصف الطبيعة من يد الزمان .

(و) مقدمة وصف الخمر:

في شعر ابن جَبَلة وصف للخمر في مستهل مِدحة خص بها حُميْداً الطُّوسيّ، فيها المعنى الطريف والصورة النادرة، معلِّلاً عكوفه على الخمر وانغماسه فيها، قائلاً (٥٥):

عَلِّلِانِ بِصَفْوِ مِا فِي الدِّنانِ * واترُكا مِا يَقولُهُ العَاذِلانِ واسبِقا فَاجِعَ المَنيَّةِ بِالعَيْ * شِ فَكُلِّ عَلَى الجَديديَيْنِ في في عَلَّلِي بشَرْبةٍ تُنَدُّهِ الهُ * مَّ وتَنْفي طَرورِقَ الأَحْزَانِ وَكُووسٌ تَجْري بِماءِ كُرومٍ * وَمَطِيُّ الكُؤوسِ أَيدي القِيانِ

زعم شاعرنا ابن جَبَلة بأنه يشرب الخمر، ويحضر مجالس اللهو، ويستمع إلى الغناء تخفُّفاً من ثقال الحياة، وخطوب الزمان، واغتناماً للسوانح وهو في ريعان الشباب قبل الشيخوخة والهلاك. وزعم ابن جَبَلة يفنده أبوالعلاء المعري وهو ينصف الخمر ذمّاً، قائلاً: (لُعِنتُ القهوة، فلم تهبط بها رهوة، لاخرير في الخمر، توطئ على مثل الجمر، من اصطبح فيهجاً، فقد سلك إلى الداهية منهجاً، من اغتبق أمّ ليلي، فقد سحب في الباطل ذيلاً...)(٢٥٠).

وَأَفْضَلَ مَنْ ذَلَكَ كُلُهُ قُولُ الْحَقَ تَبَارِكُ وَتَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَسَنِ الْخَمْسِرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن تَفْعِهِمَا ﴾ (٥٧٠) . آراء النقاد الأقدمين في المقدمات: في مصادر النقد القديم فصول كثيرة، طويلة وقصيرة، تحدث فيها الأقدمون عن افتتاحات القصائد يغلب على مادتها أنها مكرورة، عنوا فيها بمطالع القصائد لا بمقدماتها، وهي ملاحظات تارة ونصائح تارة أخرى، وقد ذكرتُ شيئاً يسيراً من تلكم الملاحظات والنصائح في مستهل الحديث عن المقدمات (٥٨).

آراء النقاد المحدثين في المقدمات:

كلف النقاد المحدثون من العرب والمستشرقين بدراسة ظاهرة المقدمات في القصيدة العربية، فهذا المستشرق الألماني (فالتر بروانه) الذي جعل المقدمة الطللية تعبيراً عن مصير الإنسان وموقفه من معميات الحياة، وعناصر الكون من فناء وبقاء (٩٥).

أما يوسف خُليف فقد ردّ المقدمات جميعاً إلى فكرة الفراغ في المجتمع الجاهلي الرعوي، وألها كانت الفرصة الوحيدة التي أتيحت للشعراء كي يعبروا عن أنفسهم (٦٠).

ويرى الدكتور حسين عطوان أن المقدمات جميعاً لا تعدو أن تكون ذكريات وضرباً من الحنين إلى الماضي والتراع إليه ... فإن المقدمات ثمرة البيئة التي درج الشعراء على أرضها وألفوا نمط حياتها (٢٦١) .

ولعل رأي عطوان أقرب إلى فهم ظاهرة المقدمات في القصيدة العربية فالشاعر لا ينفك يجترُّ ذكريات الماضي، ذاكراً حنينه إليه، مصطحباً البيئة ونملط حياتها .

إنّ المقدمات قديمها وجديدها كانت تقليداً استغله الشعراء لتصوير حياهم العاطفية، والفكرية والتعبير عن تأثرهم بها، ومواقفهم منها، كما احتفظوا لها بالحيوية والتجدد (٢٢٠).

المبحث الثاني: التخلص

التخلّص هو انتقال الشاعر من المقدمة إلى موضوع القصيدة بطريقة بارعـــة لا يشعر فيها السامع بمفاجأة الانتقال، وهو قسمان :

(أ) التخلص الحسن: هو ما ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب إذا كان قد أتى بما يصلح من الافتتاحات الحسنة فلا بد من مراعاة التخلص الحسن،

لأنه لا بد له من تقديم الغزل، أو ذكر الفخر، أو ذكر أطروفة بـــأدب، ثم يـــذكر على أثره المدح ... (٦٣) .

وأولى الشعر بأن يسمى تخلَّصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه (٢٤٠).

(ب) التخلص المفاجئ: كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت: فدع ذا وسل الهم عنك بكذا ... وربما تركوا المعنى الأول وقالوا: (وعيس أو هوجاء) وما أشبه ذلك (٢٥٠) .

تخلص شاعرنا ابن جَبَلة تخلصاً جيَّداً في بعض قصائده المادحة، مُلمَّا بكــثير من شروط التخلص الحسن، من ذلك تخلُّصه إلى مدح أبي دلف العِجْليّ بعــد أن ابتدر القصيدة بوصف الشيب، ذاكراً المحبوبة، دالفاً إلى غرضه الرئيس، قائلاً (٢٦٠): ربعت لِمَنْشُــورٍ عَلـــى مَفْرِقِــهِ * ذَمَّ لَها عَهْدَ الصَّباحِينَ انْتَسَــب (٢٧٠)

*

وَأَذْعَ رُ الرَّبْ رَبَ عِن أَطْفَالِ فِ * بِأَعْوَجِيٍّ دُلَف يِّ الْمُنْتَسَبْ

فكان تخلَّصه سلساً لم يشعر القارئ والسامع بمفاجأة الانتقال من مقدمــة القصيدة إلى موضوعها الرئيس .

ومن التخلصات الحسنة قول ابن جَبَلة يمدح حُمَيْداً الطُّوسيّ (٦٨):

دِمَ نُ السَّدَّارِ دُثُ ورُ * لَسِسَ فَسَيْهِنَّ مُحِسِرُ (٢٩)

*

وَأَزُورُ الْكَاعِبِ الْخَصِوْ * دَ تُواريهِ السُّيتورُ (٧٠) لِحُمَيْ دَ يُواريهِ السُّيرُ (٧١) لِحُمَيْ دَ يُواريهِ الْمَارضِ الْمَاسنيرُ (٧١)

ويظهر مما تقدم بدء القصيدة بوصف الأطلال، وذكر المحبوبة ثم الـــتخلص لمدح الممدوح بطريقة بارعة (لحُمَيْدٍ وحُمَيْدٌ ... البيت) . وثمة قصيدة أخرى حظيت بحسن التخلص مدح فيها شاعرنا ابن جَبَلة ممدوحه عبدالله بن طاهر، مبتدراً إياها بوصف الشيب، متخلّصاً لمدح الممدوح قائلاً (٧٢):

رَاعَ لَهُ الشَّ يْبُ إِذْ نَ زَلْ * وَكَفِ اهُ مِ نَ العَ ذَلْ وَصَ لَ اللَّ لَهُ للأَمي * رِعُ رى المُلُكِ فَاتَّصَ لَ وَصَ لَ اللَّ لَهُ للأَمي ...

ومن التخلصات الجيِّدة أيضاً قول ابن جَبَلة يمدح حُمَيْداً الطُّوسيِّ (٢٣): بِ عَلَي مالَ كُلُ عَنِّ كَلَ يلا بِ مَالِكُ عَنِّ كَلَ يلا بَعَ مالِكُ عَنِّ كَلَ يلا بَعَ اللَّهُ حُمَيْكُ داً * لِ الطَّ لَوُنيا كِفُ لِيلا جَعَ لَ اللَّهُ حُمَيْكُ داً * لِ اللَّهُ عُمَيْكُ داً * لِ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ ع

وبعد عتاب في مفتتح القصيدة تخلَّص ابن جَبَلة للمدح بشيء من براعة الانتقال، غير أن ابن جَبَلة لم يوفق في التخلص في موضعين من شعره، الأول قصيدته في مدح أبي دُلف العِجْليّ التي تُعد أجود قصائده، مستهلاً إياها بحديث مفعم بالحسرة على أيام الشباب التي انقضت عَجْلي، وأعقبتها أيام شيب وضعف وهرم، قائلاً (٧٤):

ذَادَ وْردَ الغَيِّ عَنْ صَدرِهْ * وَارْعَوى وَاللَّهْ و مِنْ وَطَرِهْ وَأَبَدِتْ إِلاَّ الوَقِ الرَّ لَكُ * ضَحِكاتُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهْ وَأَبَدَ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهْ نَصَدَمي أَنَّ الشَّبابَ مَضى * لَم أُبَلِّغ هُ مَدى أَشَرِهْ وَمُ

وبعد مقدمة طويلة عن الشيب والشباب تخلَّص ابن جَبَلة تخلُّصاً مفاحئاً على طريقة القدماء (دع ذا)، يقول(٧٥٠ :

دَعْ جَلَدا قَحْطَلَانَ أَوْ مُضَلِ * في يَمانيكِ وَفي مُضَلَوهُ وَمَصَلَوهُ وَاللَّهُ مَضَلَوهُ وَاللَّهُ عَصَلَوهُ وَاللَّهِ مَصَلَوهُ * عَصَلَوهُ الآفَاقِ مِلْ عَصَلِهُ * عَصَلَوهُ الآفَاقِ مِلْ عَصَلَوهُ *

والموضع الثاني الذي تخلّص فيه ابن جبلة تخلَّصاً مفاجئاً، ولكن ليس على طريقة القدماء، مفتتحاً قصيدته بالغزل، منتقلاً إلى غرضه الرئيس مادحاً حُمَيْداً الطُّوسيّ بلا تمهيد لهذا الانتقال، قائلاً (٧٦):

أَبَيْ تَ فَم ا تُسْعِفُ * وَجُرْتَ فَم ا تَنْصِفُ

وتَحْلِفُ لِي بِالْهُوى * وَتَنْكُثُ مِا تَحْلِفُ حُمَيْد أَبِو غَانِم * لَـهُ الشَّرَفُ الأَشْرَفُ

وفي مواضع أخرى باشر ابن جَبَلة موضوعه دون التقديم له بمقدمة، ومــن تلكم المواضع قوله (٧٧):

جَعَلَ اللَّهُ مَدَّخَلَ الصَّومِ فَوْزاً * لِحُمَيْد وَمَتْعَةً في البَقاءِ وقوله (٧٨):

غَدا بِاِمِيرِ اللَّوْمِنِينَ وَيُمْنِهِ * أَبُو غَانِمٍ غَدُّوَ النَّدَى وَالسَّحائِبِ وَ وَوَلِهُ (٧٩):

بِطاعَةِ اللَّهِ طُلْتَ النَّاسَ كُلَّهُ مُ * وَنُصحِ هادٍ أَمَينِ الْمُلْكِ مَا أُمُونِ حُمَيْدٌ يا قاسِمَ اللَّهُ نيا بِنائِلِهِ * وَسَيْفِهِ بَيْنَ أَهْلَ النُّكُ ثِ وَاللَّيْنِ

ومما لا ريب فيه أن جُلَّ قصائد شاعرنا ابن جَبَلة نالت حظها من حُسْن التخلص. لا غرو فحسن التخلص يكثر وجوده في أشعار المتاخرين ... ويعزُّ وجوده في قصائد المتقدمين (٨٠). وهو ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم (٨١).

المبحث الثالث: خاتمة القصيدة:

الانتهاء قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه، لا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قُفْلاً له(٨٢).

وينبغي لكل بليغ أن يختم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتيم، فإلها آخر ما في الأسماع ... فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه، والغاينة في كماله (۸۳).

وبعد حديث النقاد الأقدمين عن خاتمة القصيدة وشروط جودتما، حقيق بي أن أطبقه في خواتيم شاعرنا ابن جَبَلة، ولاسيما في قصائده المادحة التي ألمت بغير قليل من شروط جودة الخاتمة، مادحاً حُمَيْداً الطُّوسيّ وأبا دلف العِجْليّ، ذاكراً كرم محتدهما ونائلهما الغَمْر. فمن ذلك قوله مادحاً حُمَيْداً الطُّوسيّ جاعلاً إياه

مصدراً أصيلاً من مصادر الكرم الفيَّاض، فالناس يتشبثون به، وقد غيَّض الله جَــلّ وعلا خُميْدٍ نعمة إطعام الناس، ولذا أحاطت الخاتمة بكرم الممدوح وعطاياه الجَمَّة، موحية بانتهاء الكلام (^{٨٤)}:

مَلِكُ يَأْمَلُ العِبَادُ نَدَاهُ * مِثْلَ مَا يَامَلُونَ قَطْرِ السَّمَاءِ صَاغَهُ اللَّهُ مُطْعِمَ النَّاس في الأَرْ * ض وَصَاغَ السَّحابَ لِلإسْقَاء

ولمَّا كان حُمَيْد الطُّوسيُّ قائداً بطلاً لا يشق له غبار، وجد ابن جَبَلة في تلك الصفات مجالاً رحباً للتغنِّي بها، فلحُمَيْد مكارم جَمَّة، كرماً تارة، وبطشاً بالأعداء تارة أخرى، يقول ابن جَبَلة مرتجزاً (٨٥):

أَفنَتْ مَسَاعِيهِ حِسَابَ الْعَلَّ * لَلَهُ بِكُلِّ أَكَمَةٍ وَوَهْلِهِ سَحَابَةٌ تُغْنِي وَأُخْرِى تُردي * كَالِدَّهْرِ يَعْدُو مَرَّةً وَيُعْدِي وَأُخْرِى تُردي أُورِي عَلَماً ويَهْدى

هذه الأشطار أوحت بانتهاء الكلام وكانت قُفْلاً له، ولعل صداها يبقى في الأسماع، لا ينفك يردد صفات حُمَيْد الطُّوسيّ .

ومن الخواتيم الجيِّدة أيضاً قول ابن جَبَلة يمدح حُميْداً الطُّوسيِّ ملمَّا بكـــثير من شروط جودة الخاتمة التي ألح عليها النقاد الأقدمون كثيراً (^{٨٦}):

وَقَحْطَانُ تَبْهِ عَيْ بِلَهِ خَنْدِ اللهِ وَتَبْهِ عَلَى بِلِهِ خِنْدِ اللهِ وَتُنه وَتُنه عَيْرِهِ ا تَشْرُفُ وَتُضْدِ حَى بِلِهِ طَيِيءٌ * عَلَى غَيْرِهِ ا تَشْرُفُ وقوله أيضاً (۸۷):

أَصبَحتَ لِلمُلْكِ عِرْنيناً تَقومُ بِ * يَوْمَ الكَريهَ قِ جَدَّاعَ العَرانينِ لَعُدى لَكَ اللَهْ حَ مَوْزُوناً مُحَبَّرُهُ * وَتُكْسِبنَّا عَطاءً غَيْرَ مَوْزُونِ لَعُرُونِ

ففي الخاتمتين آنفتيَّ الذكر صفات مدح جمَّة، فحُمَيْد رمز الفخار والسؤدد والعزة، فكم تباهت به قحطان وخندف، وبذّت به طيء غيرها من القبائل . موطداً أركان الملك ببأسه ورباطة جأشه في الملمات والنوازل. فقمين بشاعرنا ابن جَبَلة أن يمدح ممدوحه بشعر موزون محبّر، كيف لا وعطاؤه لا تحده حدود. ولعلَّ

الخاتمتين جمعتا كثيراً من شروط الجودة؛ لأنهما حوتا حسن المعنى، وصفاء اللفظ، وأوحتا بانتهاء الكلام .

وثمة معنى أكثر منه شاعرنا ابن جَبَلة في خواتيم قصائده بأن يصف ممدوحه بالرأس وغيره بالذنب، كقوله يمدح أبا دلف العِجْليّ (٨٨):

وأَثْوِ فِي الأَرْضِ أَو اِستَفْزِزْ بِهِا * أَنْتَ عَلَيها الرَّأْسُ وَالنَّاسُ اللهَّنَبُ

وقوله يمدح حُمَيْداً الطُّوسيّ(^{٨٩)} :

تَناهَ ـُتْ بِـكَ قَحْطُـانٌ * إِلَى الغايَـةِ وَالحَسَـبْ فَفاتَـتْ شَـرَفَ الأَحْيِـا * ءِ فَـوْتَ الـرَّأْسِ لِلعَجَـبْ فَفاتَـتْ شَـرَفَ الأَحْيِـا * ءِ فَـوْتَ الـرَّأْسِ لِلعَجَـبْ وقوله يمدح حُمَيْداً أيضاً (٩٠):

والنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمامُ الْهُدى * رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَدْنُ فِي الْرَّأْسِ

ولعلَّ مقصد الشاعر أن يجعل ممدوحه في مكان عال كموضع الرأس في الجسد، وغيره تابعاً متأخراً كالذنب . وإن بدا المعنى مكروراً مألوفاً عند العامة دعك عن الخاصة، فإن ابن جَبَلة أراد أن يختم قصائده تلك بتقدم ممدوحه على غيره .

ختم شاعرنا ابن جَبَلة بعضاً من قصائده، داعياً لممدوحيه أبي دلف العِجْليِّ وحُمَيْد الطُّوسيِّ قائلاً (٩١) .

أَبا دُلَفٍ بورِكْتَ فِي كُـلِّ بَلْدَةٍ * كَما بورِكَتْ فِي شَهْرِها لَيْلَةُ القَـدْرِ

ثَمْ قَالَ فِي مَدَّحَ حُمَيْدُ (٩٢):
وَقَلْيَ لَنْ مِنْ أَيَادِي * كَ عَلَى النَّ اسِ كَ شَيرُ
فَ إِبْقَ مَا عُلَدٌ مِنَ الدَّهِ * رسُ نَوهُ وَالشُّ هورُ

دعا ابن جَبَلة لممدوحه أبي دلف العِجْليّ بالبركة والخير الكثير، كما بارك الحق حَلَّ وعلا في ليلة القدر التي تفضل ألف شهر، ودعا لممدوحه حُمَيْد الطُّوسيّ بالبقاء حيّاً على مر الدهور والسنين .

أجل، لقد كره الحُذّاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء؛ لأنه من عمـــل أهل الضعف، إلا الملوك فإنحم يشتهون ذلك (٩٣).

ورغم أن أبا دلف العِجْليَ وحُمَيْداً الطُّوسيَّ ليسا مَلِكَيْنِ، ولكنهما قائدان كبيران قمينان بالدعاء لهما، ولعلَّ هذا يسوِّغ لابن جَبَلة أن يختم قصيدتيه آنفييُّ الذكر بالدعاء .

ختم شاعرنا ابن جَبَلة بعضاً من قصائده بخواتيم مفتوحة لا توحي بانتهاء الكلام ومن ثمّ لا تكون قُفْلاً له، من ذلك قوله محيباً محمد بن عبدالملك الزّيّات (٩٤):

أَقْصِرْ أَبا جَعْفَرِ عَنْ سَطْوَةٍ جَمَحَت * إِنْ لا تُقَصِّرْ بِها مالَتْ إِلَى القِصَـرِ

نهى الشاعر ابن الزَّيات عن تطاول سطوته، محذِّراً إياه من عواقبها، فبدت الخاتمة مفتقرة لكلام يأتي بعدها يكون قُفْلاً لها .

ومن الخواتيم المفتوحة قول ابن حَبَلة يمدح عبدالله بن طاهر (٩٥):

لَيْتَ لَهُ حِلِينَ جَادَ لِي * بِالغِنى جَادَ بِالقَفَلِ لَ

فالخاتمة تبدو مفتوحة، والنفس راغبة في إتمام الشاعر لذلك الـــتمني بعــودة الممدوح إليه .

وثمة خاتمة مفتوحة لَمّا وصف ابن جَبَلة خيــل ممدوحــه أبي دلــف العِجْلــيّ ، قائلاً (٩٦):

كَانَ خَيْلَكَ فِي أَثْنَاءِ غَمْرَتِها * أَرْسَالُ قَطْرٍ تَهامى فَوْقَ أَرْسَالِ كَانَ خَيْلَكَ فِي القِرَّةِ الصّالِي يَحْرُجنَ مِنْ غَمَراتِ المَوْتِ سامِيَةً * نَشْرَ الأَنامِلِ مِنْ ذي القِرَّةِ الصّالِي

مشبهاً الخيل وهي تندفع في حومة المعركة بأقصى سرعتها فوجاً تلو فوج بدفعات الغيث التي تنهل واحدة بعد أخرى، ثم شبّه كلّ جماعة منها وهي تظهر من بين أستار الغبار المتطاير في جو المعركة، وبعضها يسبق بعضاً بمسافات قصيرة بأصابع المقرور الذي فردها لينال حظّاً أوفر من الدفء، فإذا هي مستوية متوازية الاّ ما يبدو من فروق طبيعية بينها، تتمثل في طول بعضها وقصر سائرها . وقد أخذ شاعرنا ابن جَبَلة هذا المعنى في بيتيه آنفي الذكر من الأسْعَر الجُعْفيي حين وصف الخيل قائلاً :

يَخْرُجنَ مِن خَلَلِ الغُبارِ عَوابِساً * كَأَصابِعِ المَقْرُورِ أَقْعَى فَاصْطَلَى (٩٧)

ورغم جودة التشبيه في بيتي ابن جَبَلة، لكنَّ الخاتمة لم توحِ بانتهاء الكلام فبدا مفتقراً لقُفْل .

والخاتمة المفتوحة بدت واضحة في أُمَّ قصائد ابن جَبَلة التي مدح بها أبا دلف العِجْليُّ (ذادَ وِرْدُ الغَيِّ عَن صَدَرِهْ...)، إذ ختمها الشاعر بخاتمة مفتوحة قائلاً (٩٨):

وَطَعْى حَتَّى رَفَعْتَ لَـهُ * خُطَّةً شَـنْعاءَ مِـنْ ذِكَـرِهْ

أراد ابن جَبَلة وصف عقوبة أبي دلف التي أنزلها بصعلوك عاث في عمله يدعى (قُرْقُور) وقد قضي عليه أبو دلف ، يقول (٩٩) :

وَبِقُرْقُ وَلَا تُورْتَ رَحِ اللَّهِ وَقَعَ إِنَّ فَكَ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

والخاتمة المفتوحة لا تغمط هذه القصيدة حقَّها، فقد قرَّظها غير ناقد كابن المعتز، واصفاً إياها بالغراء التي سارت في العرب والعجم (١٠١). وبأنها سارت مسير الشمس والريح (١٠٢). وذكرها أبوالفرج الأصفهاني بأنها من جيِّد شعره وحسن مدائحه (١٠٣).

ولعلّ الخاتمة المفتوحة في أُمِّ قصائد ابن جَبَلة ترجع إلى إسهابه في وصف عقوبة أبي دلف التي أنزلها بالصعلوك (قُرْقُور)، وليس شاعرنا ابن جَبَلة ببدع في هذا، فمن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو، وإسقاط الكلفة، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر، كأنَّ السِّباع ... البيت، فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلَّقات، وهي أفضلها (١٠٤).

ولنا أن نقيس معلقة امرئ القيس في جودة مطلعها، وعدم جودة خاتمتها برائية ابن جَبَلة (أُمِّ قصائده) لمَّا ختمها بخاتمة مفتوحة .

ومما تقدم ذكره من خواتيم شاعرنا ابن جَبَلة يتضح ألها ألمت بكـــثير مـــن شروط جودة الخاتمة، وبدا بعضها الآخر مفتوحاً لا يوحي بانتهاء الكلام، وتبـــدو خواتيمه الجيِّدة أوفر عدداً وأرجح كفة من غيرها .

المبحث الرابع: وحدة القصيدة:

يُقصد بالوحدة في القصيدة وحدة الموضوع، أو وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع. وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير، والمشاعر وهو ما يسمى بالوحدة العضوية (١٠٥).

وفي مصادر الأدب ومراجعه حديث جم عن وحدة القصيدة بدءاً من ابن طباطبا العلوي (۱۰۲)، والحاتمي (۱۰۷)، وصولاً إلى النقاد المحدثين مثل طه حسين (۱۰۸)، وشوقي ضيف (۱۰۹)، ومحمد غنيمي هلل (۱۱۱)، وحسين عطوان (۱۱۱).

أما وحدة القصيدة عند شاعرنا ابن جَبَلة فتوجد في قصيدة واحدة رثى بها حُمَيْداً الطُّوسيّ مطلعها(١١٢):

أَلِلدَّهْرِ تَبْكي أَمْ عَلى الدَّهْرِ تَجْزَعُ * وَما صَاحِبُ الأَيَّامِ إِلاَّ مُفَجَّعُ

وقد قرَّظها أبوالفرج الأصفهاني قائلاً: (هي من نادر الشعر وبديعه ...) (١١٣). وقال عنها أيضاً: (وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها؛ لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتري أكثر معانيها فسلخها، وجعلها في قصيدتيه اللين رثى بهما أبا سعيد الثغريَّ: انظرْ إلى العليا كيف تُضام ...) (١١٤).

رثى شاعرنا ابن جَبَلة حُمَيْداً الطُّوسيّ، مظهراً براعة في الرثاء، معزِّياً جمهور العرب في ما أصاهم من الحادث الجلل، ذاكراً الحزن والألم الممض لوفاة حُمَيْد، مردداً أن ابنه محمداً هو خير خلف له، وأن الله رأب صدع الأمة به، لأنه ورث عن أبيه كلّ خصاله من البسالة والشهامة والقيادة الحكيمة، مؤبناً إياه، معدداً شمائله من إغاثة الملهوف، والأخذ بيد الضعيف، وحماية الأعراض وقيادة الكتائب، والانتصار على الأعداء، والصمود إزاء أشد الحن (١١٥).

يقول ابن جَبَلة (١١٦).

أَلَ مَ تَ رَ لِلأَيَّامِ كَي فَ تَصَرَّمَتْ * بِهِ، وَبِ هِ كَانَتْ ثِدادُ وَتُدفَعُ وَكَيْفَ اللَّوْفُ تُمْنَعُ وَكَيْفَ اللَّوْضُ تُمْنَعُ وَكَيْفَ اللَّوْفُ تُمْنَعُ اللَّوْضُ تُمْنَعُ عَلَى جَبَلِ كَانَتْ بِهِ الأَرْضُ تُمْنَعُ وَكَيْفَ التَّقَى مَثُوعً مِنَ الأَرْضُ تُمْنَعُ اللَّوْفُ تُمْنَعُ اللَّوْفُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللللللِّلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللْمُلْلِي اللَّهُ الللْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللل

ولّا الْقَضَتْ أَيّامَهُ الْقَضَى العُلا * وْأَضِحى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وَهُوَ أَجْدَعُ هُوى جَبَلُ الدُّنيا المَنيعُ وَغَيْتُها ال * مَريعُ وَحاميها الكَمِيُّ المُشَيَّعُ (۱۱۷) مَكَى فَقدَهُ رُوحُ الحَياةِ كَما بَكى * نَداهُ النَّدى وَإِبنُ السَّبيلِ المُلدَقَّعُ وَفَارَقَتِ البِيضُ الخُدورَ وَأُبْرِزَت * عَواطِلَ حَسْرى بَعْدَهُ لا تَقَنَّعُ وَفَارَقَتِ البِيضُ الخُدورَ وَأُبْرِزَت * عَواطِلَ حَسْرى بَعْدَهُ لا تَقَنَّعُ وَقَارَقُ رَأْبَ اللَّهُ المَللِ بِمُحَمَّدٍ * وَبِالأَصْلِ يَنْمَى فَرْعُهُ المُتَفَرِّعُ وَقَدَدُ رُأَبَ اللَّهُ المَلكِ المُحَمَّدِ * وَبِالأَصْلِ يَنْمَى فَرْعُهُ المُتَفَرِّعُ وَقَدَى عَنْ أَبِيهِ بَدْلُ رَاحَتِهِ النَّدى * وَطَعْنَ الكُلى وَالزَّاعِبيَّةُ شُرَّعُ المُنكَى حَوى عَنْ أَبِيهِ بَدْلُ رَاحَتِهِ النَّدى * وَطَعْنَ الكُلى وَالزَّاعِبيَّةُ شُرَّعُ اللَّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللللللّهُ الللللللّهُ اللللللللللللللللللللللّهُ الللللللللللللللللللللللل

في القصيدة وحدة شعور حزين من مفتتحها إلى خاتمتها؛ لأنها لم تخرج عن معاني الرثاء قَيْدَ أُنْملة، فبدت مترابطة الأجزاء، ملمَّة بضروب الرثاء، ندباً وتأبيناً تارة، وعزاءً تارة أخرى .

ولا توجد وحدة في شعر ابن جَبَلة خلا هذه القصيدة، ولعل ذلك يرجع إلى أنه صنع صنيع الشعراء الجاهليين والإسلاميين، وشعراء عصره من العباسيين في قصائدهم المادحة، مستهلاً إياها بمقدمات تقليدية، مزاوجاً بين مذهب القدماء ومذهب الشعراء المعاصرين له، فضلاً عن أنه نظم كثيراً من شعره في شكل مقطوعات . كلّ ذلك باعد بينه وبين وحدة القصيدة، وهذا يدل على أن شاعرنا ابن جَبَلة أخذ من القديم نصيباً ومن شعراء عصره نصيباً آخر .

أهم نتائج الدراسة

1 - استهل شاعرنا ابن جَبَلة بعضاً من قصائده بوصف الشيب وبكاء الشباب، وبدا متنازعاً بين المشيب وأُنس الشباب، ففي الأول الحكمة والعظة والوقار رغم ازورار الحسان، وفي الثاني زهو لافت لحور المقل. معزِّياً نفسه عن رحيل الشباب ومُقام المشيب. داعياً إلى بكاء الشباب لا إلى الربع والطلل، مخالفاً ما اعتاده الشاعر القديم من ذكر الأطلال وبكاء الديار، ولعله كان من أنصار دعوة أبي نواس في افتتاح القصيدة بذكر الخمر لا الطلل، بيد أنحا لم تجد مناصرين لها .

٢- افتتح ابن حَبَلة أيضاً بعضاً من قصائده بمقدمات غزلية ، مفعمة بالهيام والرقة والعذوبة بعيدة عن الإسفاف والتدين . بادئاً قصيدة من شعره بوصف الأطلال رغم

مناداته بتركها - دون إكثار من حشد الرسوم البدوية، ولعلّ المقدمة كانت تقليداً فنيّاً صِرْفاً لاحظ للتجربة الحقيقية فيها، كيف لا والشاعر حضري موغل في الحضارة البغدادية .

٣- مال ابن جَبَلة في مقدمة الاعتذار والعتاب إلى الحجاج والمنطق مستلهماً عقله الخصب وذهنه الثاقب مستلاً السخيمة من نفس ممدوحه أبي دلف حين غضب عليه ، وحيناً كان ابن جَبَلة يبتدر القصيدة بالاعتذار والعتاب، مظهراً الوقار والعزة والكرامة مع أعظم رجال الدولة ذاكراً صبره ورباطة جأشه، مهدداً بالقطيعة والجفوة.

٤- ألم ابن جَبلة بمقدمة وصف الطبيعة، واصفاً الغيث وصفاً بديعاً، ذاكراً السحاب الداكن، وكأنه اكتسى ثياباً رمادية . كما ألم أيضاً في مقدماته بوصف الخمر، زاعماً ألها تخفف عنه أثقال الحياة وخطوب الزمان .

٥- في شعر ابن جَبَلة تخلَّصات جيِّدة للغاية، تخلص فيها الشاعر إلى غرضه الرئيس بطريقة بارعة، ولم يسمت سمت القدماء في تخلُّصاهم على طريقة (دع ذا) (وعيس بريناها) إلا في موضع واحد، مادحاً أبا دلف العِجْليّ، ثم تخلص بطريقة مفاجئة مادحاً حُمَيْداً الطُّوسيَّ لا على طريقة القدماء، ولكنه انتقال مفاجئ. ولعله أسهب في مقدمتي القصيدتين مما جعله يتخلَّص تخلصاً مفاجئاً. وكان ابن جَبَلة في بعض قصائده يباشر موضوعه دون مقدمات.

7- ختم ابن جَبَلة جُلَّ قصائده بخواتيم جيِّدة أوحت بانتهاء الكلام، وكانت قُفْلاً له. كما ختم بعضاً منها بخواتيم مفتوحة لا توحي بانتهاء الكلام، في مقدمتها خاتمة قصيدته الرائية (وطغى حتى رفعت له ...) وختم قصيدتين بخاتمتين تضمنتا الدعاء لممدوحيه أبي دلف العِجْليّ وحُمَيْد الطُّوسيّ، رغم أن الحذاق من الشعراء كرهوا ختم القصيدة بالدعاء إلاّ للملوك، وشاعرنا كان قد رفع ممدوحيه فوق الملوك، ولذا فحريُّ به أن يدعو لهما.

٧- نصيب وحدة القصيدة يسير جدًا في شعر ابن جبلة ، إذ توجد وحدة شعور في مرثيته (أللدهر تبكي أم على الدهر تجزع...) التي رثى بها حُمَيْداً الطُّوسيّ، معزِّياً جمهور العرب في فقدهم الجلل مؤبناً إياه، معدِّداً شمائله . ولعل قلة وحدة القصيدة في شعر ابن جَبَلة يدل على أنه كان ينهج لهج الشاعر القديم في استهلال قصائده بمقدمات شتى، وإن لهج حيناً لهج شعراء عصره ، وهذا كافٍ لأن يجعل وحدة القصيدة تـزوُّر عنه.

777 العدد ۲۹

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1 الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط١٤، ٩٩٩ م .
 - ٢ الأغانى، أبوالفرج الأصفهانى، طبعة دار الكتب المصرية، وطبعة الساسى .
- ٣- امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية، د.الطاهر أحمد مكي، طبع دار المعارف- مصر، ط۱، ۱۹۶۸م.
- ٤ البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقى، مكتبة المعارف بيروت، ط٢، ٩٩٠م، ج٩.
- ٥- تاريخ الأدب العربي ، عمر فرَّوخ، دار العلم للملايين بيروت، ط٦، ١٩٩٢م، الأعصر العباسية .
- ٦- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٧م،
 - تاريخ الطبري، الطبري، دار سويدان بيروت(د.ت)، ج
 - حدیث الأربعاء، د. طه حسین، طبع دار المعارف مصر، ط+ (د.ت)، ج+ .
 - ٩ ديوان المعايى، أبو هلال العسكري، مطبعة القدسي القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ١ رسالة الغفران، أبوالعلاء المعري، تحقيق محمد عزت نصرالله، طبع دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).
- 1 ١ سمط اللآلي، أبوعبيد البكري الأندلسي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشو – مصر، ١٩٣٦م، ج١.
- ١٢ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت (د.ت)، ج٢.
- ١٣- شعر على بن جَبَلة الملقُّب بالعكوَّك، تحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف مصر، ط۳، (د.ت) .
- ٤ ١ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبع دار المعارف مصر، عام ١٦٦٩١م، ج٢ .

775

- ٥١- الصناعتين ، أبو هلال العسكري، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه -القاهرة، ط١، ١٣٧١م.
- ١٦ طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبدالســـتار فـــرًاج، دار المعـــارف مصـــر، 70919.
 - ١٧- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط٣، (د.ت) .
- ١٨ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحُمَيْد، طبع دار الجيل – بيروت، ط٤، ١٩٧٢م، ج٢.
- ٩ عيار الشعر، ابن طباطبا العلوى، تحقيق عباس عبدالستار، دار الكتب العلميـة -بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- ٧- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي اليمني، دار الكتب العلمية – بيروت (د.ت) ، ج٣ .
- ٧٦ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، (د.ت)، ج٢.
- ٢٢ مقالات في الشعر والنقد، د.حسين عطوان، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٨٧ م.
- ٣٣ مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف مصر، . 2194.
- ٢ ٢ مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، د. حسين عطوان، دار الجيـل -بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
 - ٥٢ النقد الأدبى الحديث، د.محمد غنيمى هلال، دار فهضة مصر، (د.ت).
 - ٢٦ نكت الهميان، الصفدي، المطبعة الجمالية مصر، ١٩١١ م .
- ٧٧ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف على طويل ود.مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت)، ج٣.

العدد ۲۹

الهوامش والإحالات:

- (') انظر أخبار على بن جَبَلة في : الشعر والشعراء بتحقيق أحمد محمد شاكر ٨٦٤/٣-٨٦٨، والأغابي ١٠٠/١٨، وطبقات ابن المعتز ص١٧١-١٨٥، وسمط اللآلي للبكري ٣٣/١، وتاريخ بغداد ٩/١١، ٣٥٩، ونكت الهميان للصفدي ص٩٠٩-٢١، ومرآة الجنان لليافعي ٧٣٥-٤٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥٥/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٦٧/١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٧-٣٠٦/٣ .
 - (٢) انظر: الأغابي ١٠٠/١٨.
 - (") الأغابي ١٠٠/١٨، ونكن الهميان ص٢٠٩، ووفيات الأعيان ٣٠٦/٣.
- (ئ) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩/١١ ٣٥٩، والبداية والنهايــة ٢٦٨/١٠، ومــرآة الجنان ۲/۳۵.
 - (°) شعر على بن جَبَلة بتحقيق د. حسين عطوان ص٩.
 - (١) شعرا بن جَبَلة ص١٠ (بتصرف)، وانظر أيضاً : الأغابي ١٠١/١٨ .
 - ($^{\sf V}$) الأغابي $^{\sf V}$ ا وانظر: بقية مصادر ترجمته في الصفحة السابقة.
 - (^) طبقات ابن المعتز ص١٧٣، والأغابي ١٠١/١٨ .
- (٩) أبودلف العِجْليّ: (... ٢٢٦ه، ... ٨٤٨م) القاسم بن عيسي بن إدريس بن معقل، من بني عجل ابن لَجَيْم : أمير الكرج، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجـواد الشجعان الشعراء، قلده الرشيد العباسي أعمال (الجبل) ثم كان من قددة جيش المأمون . وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة، وللشعراء فيه أماديح، وله مؤلفات، منها (سياسة الملوك) و (البزاة والصيد). وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه، توفي ببغداد . (الأعلام للزركلي، دار العلم للملايسين، ط١٤، ٩٩٩م، ٥/٧٩/)، وانظر في أخبار أبي دلف: الأغابي طبعة دار الكتب المصرية ٨/٨ ٢، ووفيات الأعيان طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، ١/٣،٥٠١ وسمط الله لله ٣٣١/١ وتاريخ الأدب العربي لعمر فروَّخ (الأعصر العباسية) ٣٣٣٠ .
- (' ') حُمَيْد الطُّوسيّ : (... ٢١٠هـ ... ٢٨٥٥)، من كبار قواد المأمون العباسي، كان جبَّاراً، فيه قوة وبطش، وكان المأمون يندبه للمهمات . (الأعــلام للزركلــي
 - (۱۱) مرآة الجنان لليافعي ٥٣/٢، ونكت الهميان ص٢١٠.
- (١٢) عبدالله بن طاهر (١٨٦ ٢٣٠هـ ، ٧٩٨ ٤٤٨م) : عبدالله بن طـاهر بــن الحسين بن مصعب بن زُرَيْق الخزاعي، بالولاء، أبوالعباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، أصله من (باذغيس) بخراسان كان جده الأعلى (زُرَيْق) من موالى طلحة الطلحات ، ولى إمرة الشام مدة ونقل إلى مصر سنة ١١٦هـ، فأقــام

سنة، ونقل إلى الدينور ثم ولاه المأمون خواسان، وظهرت كفاءته، فكانت له طبر ستان وكرمان، وخراسان والري والسواد ، وما يتصل بتلك الأطراف. واستمر إلى أن توفى بنيسابور (وقيل: بمرو) وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه. (الأعلام للزركليي .(9 = 9 9 / 2

- (١٣) انظر: شعر ابن جَبَلة ص١٦ (بتصرف) ، وانظر تاريخ الطبري ٧٩٨/١١ ، ٨٠٤، . 771 ,777
 - (١٤) الأغابي ١٠٠/١٨ .
 - (١٥) تاريخ بغداد ٩/١١، ٣٥٩، وانظر: نكت الهميان ص٩٠٩.
 - (^{۲۱}) مرآة الجنان ۳/۲ .
 - $(^{1})$ البداية و النهاية $(^{1})$
 - (۱۸) شعر ابن جَبَلة ص۱۳ .
 - (^{۱۹}) شعر ابن جَبَلة ص۱۳ ، ۷۶ .
 - (۲۰) طبقات ابن المعتز ص۱۷۱.
 - (٢١) الأغابي ٨/٤٥٢ .
 - (۲۲) شعر ابن جَبَلة ص١٤، ٦٨.
 - (۲۳) سمط اللآلي ۱/۳۳۰ .
 - (۲۴) الأغاني ۱۱۵/۱۸، والطبري ۱۱۵۳/۱۱.
 - (^{۲°}) شعر ابن جَبَلة ص۱۱ (بتصرف) .
 - (٢٦) الأغابي ١٠٨/١٨ .
 - (۲۷) شعر ابن جبلة ص١٤، ٨٢ .
 - (۲۸)شعر ابن جبلة ص**٥١** .
 - (^{۲۹}) نفسه *ص۱*۵، ۱۶ .
 - (^{۳۰}) نفسه *ص*۱۹.
 - (^{۳۱}) نفسه ص ۱۷، ۷۳ .
 - (^{۲۲}) شعر ابن جبلة ص٦.
 - (الصناعتين ص ٤٣٧ .
 - (^{۳٤}) العمدة ۱۱۸/۱ .
 - (°°) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي لحسين عطوان ص ٩٠٠.
 - (^{٣٦}) شعر ابن جَبَلة ص٣٢–٣٣ .
 - (۳۷) نفسه ص٤٤ .
 - (^{۳۸}) نفسه ص۱۵–۲۹.
 - (٣٩) شعر ابن جَبَلة ص٨٩.

```
(<sup>٤٠</sup>) نفسه ص ۹ .
```

- (٤١)شعر ابن جَبَلة ص٨٩.
 - (^{٤٢}) نفسه ص٥٥.
 - (^{۴۳}) نفسه ص۱۹.
 - (^{ئئ}) نفسه ص۷۸ .
 - (⁶³) العمدة ١١٦/٢ .
- (٤٦) شعر ابن جَبَلة ص١٦، ٩٧.
 - (^{٤٧}) العمدة ١/٥٢٢ .
- (^{٤٨}) شعر ابن جَبَلة ص١٦، ٤٥ .
 - (٤٩) انظر: الأغاني ١١٣/١٨.
- (°°) شعر ابن جَبَلة ص١٧، ٧٩.
 - (۱°) نفسه ص ۹۳ .
 - · ۲°) نفسه ص ۵۸ ۹۹ .
- (٥٣) امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية للطاهر أحمد مكي ص٢٦٠-٢٦١ (بتصرف) .
 - (^{ځه}) شعر ابن جبلة ص ۱۸ ، ۶۸.
 - (°°) شعر ابن جَبَلة ص ١٩ ٢٠ ، ١١٢ ١١٣.
 - (°٦) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، بتحقيق محمد عزت نصرالله، ص٠٩٠.
 - ر $^{\circ \circ}$ سورة البقرة الآية $^{\circ \circ}$.
- انظر: مقالته الموسومة بعنوان (الوجودية في الجاهلية) في مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع يونيو 1978م، 171-171. (نقلاً عن مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي لحسين عطوان 19700.
- ('`) انظر: دراسة الدكتور يوسف خليف في مجلة (المجلـة) العــدد ٩٨، ص١٦٦، و٢٢-١، والعدد ١٠٤، عام ١٩٦٥م، ص٤-١٥. (نقلاً عن مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ص١٦٠-١١) .
 - (٢١) انظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ص٢٢٧-٢٣٩ .
 - (٢٢) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني ص٩٩٣.
 - $(^{77})$ كتاب الطراز للعلوي اليمنى $(^{77})$.
 - (۲۳۷) العمدة (۲۳۷۷ .
 - (٢٥) الصناعتين ص٢٥٤.
 - (٢٦) شعر ابن جَبَلة ص٣٢.

```
771
TACC PY
```

```
(<sup>۲۷</sup>) نفسه ص۳۳ .
                                            (۲۸) نفسه ص۹٥.
                                    (٢٩) نفسه والصفحة نفسها.
                                            (<sup>۷۰</sup>) نفسه ص۲۰.
                                    (<sup>۷۱</sup>)شعر ابن جَبَلة  ص ۸۹ .
                                             (۷۲) نفسه ص۹۳ .
                                    (٧٣) نفسه والصفحة نفسها.
                                            . ۲٥ص نفسه ص
                                             (<sup>۷۰</sup>) نفسه ص۱۷.
                                      (<sup>۷۹</sup>)شعر ابن جَبَلة ص۸٦ .
                                            (۷۷) نفسه ص۳۰.
                                            . ٤١ نقسه ص
                                           (<sup>۷۹</sup>) نفسه ص۱۱۱ .
     (^^) انظر: كتاب الطراز للعلوي اليمني ١٨١/٣-١٨٢ .
(^١^) انظر : عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ص١١٥-١١٨ .
                                          ( ۲۲ ) العمدة ۱ / ۲۳۹ .
            . 1 \wedge \xi - 1 \wedge \pi / \pi ) Silve illustry illustry ( ^{\Lambda \pi} )
                                   (<sup>۸۶</sup>) شعر ابن جَبَلة ص۳۰ .
                                            (<sup>۸۵</sup>) نفسه ص۵۳ .
                                            (<sup>۸۹</sup>) نفسه ص۸۷ .
                                          (<sup>۸۷</sup>) نفسه ص ۱۱۱ .
                                      (^^^)شعر ابن جَبَلة ص٣٦ .
                                           (۸۹) نفسه ص۶۶.
                                            (<sup>۹۰</sup>) نفسه ص۷۶ .
                                            (<sup>۹۱</sup>) نفسه ص٥٥ .
                                            (<sup>۹۲</sup>) نفسه ص۹۳ .
                                          (<sup>9۳</sup>) العمدة 1/1 ؟ .
                                    (<sup>۹۶</sup>) شعر ابن جَبَلة ص٥٦ .
                                             (<sup>۹۵</sup>) نفسه ص۸۹ .
                                             (<sup>٩٦</sup>) نفسه ص٩٦ .
```

، وشعر ابن جَبَلة ص٢٣-٢٤.

(٩٧) انظر : ديوان المعابي ١٠٦/٢، والشعر والشعراء بتحقيق أحمد محمد شاكر ٨٦٧/٢

(^{۹۸}) شعر ابن جَبَلة ص٧٠ . (٩٩) نفسه والصفحة نفسها .

> (۱۱۳) نفسه ص۸۱ . (۱۱۷) نفسه ص۲۸.

يصنعها. (لسان العرب: زعب).

```
ينسب إليه أو يعرف به، إنما كان يصبح بمكان ويمسي بمكان غيره، ... حتى قضي
         عليه أبو دلف في يوم تصيّدهُ فيه برمح وضعه في ظهره حتى أخرجه من صــدره، ثم
                            صرعه واحتز رأسه . (انظر : طبقات ابن المعتز ۱۷۷-۱۷۸) .
                                                (۱۰۱) طبقات الشعراء لابن المعتز ص١٧١.
                                                                   (۱۰۲) نفسه ص۱۷۸ .
                                                                 (١٠٣) الأغابي ١٥٤/٨ .
                                                            (۱<sup>°</sup>) العمدة 1/٠٤١ - ٢٤١ .
                                     (١٠٥) النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص٣٧٣.
                                                              (١٠٦) عيار الشعر ص١٣١.
                                                                  (۱۰۷) العمدة ۱۱۷/۲ .
                                                        (^{1\cdot h}) حديث الأربعاء (^{1\cdot h})
                                                          (۱۰۹) العصر الجاهلي ص٢٢٦ .
                                               (۱۱۰) النقد الأدبي الحديث ص٥٧٥-٣٧٦ .
lbece PY
                                                  (١١١) مقالات في الشعر والنقد ص٥١٥.
                                                             (<sup>۱۱۲</sup>) شعر ابن جَبَلة  ص۸۱ .
                                                                 (١١٣) الأغابي ١٠٧/١٨ .
                                                                  (۱۱<sup>٤</sup>) نفسه ۱۰۸/۱۸ .
                                                   (١١٥) شعر ابن جَبَلة ص١٤ (بتصرف) .
```

(^١١٨) نفسه ص٨٣ ، الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب وهو رجل من الخزرج كـــان

(```) كان قرقور صعلوكاً يقطع حوالي عمل أبي دلف العِجْليِّ ، وكان شجاعاً بطللًا لا يقاومه أحد ... فطلبه أبو دلف فلم يقدر عليه؛ وذلك أنه لم يكن يقيم في موضع